

فسرني أنها تكذب لتستر حماقته.. وكنت أعرف أن هذه كذبة لأنه أخبرني بما تم، فالأمر مفروغ منه ولا حاجة به إلى سفر جديد، ولكنها لم تكن تدري أنى أعرف هذا وإلاَّ للجات إلى كذبة أخرى.

وقضينا النهار على خير ما نستطيع، وإذا بنا بعد العصر نتلقى هذه البرقية: «اصطدمت السيارة وتحطمت، وإصابتي خفيفة. فهل تستطيعين أن تحضري؟.. سيكون أخى بانتظارك بسيدي جابر» خليل.

فدعرنا جميعا فقد كان من الواضح أن الحادثة أكبر مما زعم.. ولم تستطع أختي أن تضبط نفسها، فبكت وهمت أمى أن تزجرها عن البكاء، فقلت لها: «دعيها فما خلق الدمع للناس عبثا». فقامت ترتب لها أشياءها في الحقيبة، وتضع معها ما قد يحتاج إليه زوجها مخافة أن تكون حقيبته قد فقدت في الحادثة، أو تركت مع السيارة المحطمة.

وقلت لأمى: «انهبى معها، وسألحق بكما غدا.. فإننى مضطر إلى البقاء الليلة، وأبرقوا إلى في الصباح بعد أن تروه ليطمئن قلبي».

وودعتهما في المحطة وعدت إلى البيت — بيت أختي — حزينا كاسف البال موجع القلب، وجلست في البيت أفكر في هذا الحظ السيئ وأسخط على خليل، وأقول لنفسى هل كان لابد أن يصنع هذا الأحمق ما صنع، وأن يعلن إلى زوجته الجفوة ليلة العيد، ويروح يكسر عظامه أيضا ويرج زوجته هذه الرجة الشنيعة؟ ولكنه لقي فوق جزائه. مسكين. ومن يدري ماذا جرى له؟ ولعله الآن مشرف على الهلاك، وإنها لقسوة أن ألومه. ثم أنه كان مثال الزوج الصالح، ولم تكن سيرته معها قط إلا سيرة المحب الذى لا يعنيه من الدنيا سوى زوجته، فماذا يا ترى جرى حتى كانت هذه الجفوة المشئومة؟ وإننى لجالس أدخن سيجارة في إثر أخرى، وبى ما يعلم الله من الحزن.. وإذا بخليل داخل كالقنبلة! فانتفضت واقفا وحدقت في وجهه مذهولا وفمى مفتوح كالأبله، فلما رآنى كذلك وقف هو أيضا، وسألنى أول ما سأل: «أين فريدة؟».

فأحسست أنى سأسقط على الأرض، فانحطت على أقرب كرسي ورفعت يدي إلى رأسى، فأقبل على يهزنى بعنف ويقول بصوت عال جدا: «أين فريدة؟ قل.. انطق، ماذا جرى؟»

فحاولت أن أتكلم، ولكن لسانى وقف في حلقي، فأشرت إلى البرقية المشئومة، فتناولها مستغربا ولم يكد يقرأها حتى صرخ: «إيه؟»